يوجب هذا الترجيح وهي أعم من الأخبار فإنه ميل مع تفصيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز
أو الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا أي إضلال كثير و
إهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للإشعار بالحدوث والتجدد أو بيان للجملتين المصدرتين بأما
وتسجيل بأن العلم بكونه حقا هدى وبيان وأن الجهل بوجه إيراده والإنكار لحسن مورده ضلال وفسوق
وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر إلى أنفسهم لا بالقياس إلى مقابلهم فإن المهديين قليلون بالإضافة إلى
أهل الضلال كما قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل أن يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين
باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل إذا عدوا كثير إذا شدوا وقال إن الكرام كثير في البلاد وإن قلوا كما غيرهم
قل وإن كثروا وما يضل به إلا الفاسقين أي الخارجين عن حد الإيمان كقوله تعالى إن المنافقين هم الفاسقون
من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت وأصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها
جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن أمر الله تعالى بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الأولى التغابي وهو أن
يرتكبها أحيانا مستقبحا إياها والثانية الانهماك وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو أن
يرتكبها مستصوبا إياها فإذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الإيمان من عنقه ولابس الكفر
وما دام هو في درجة التغابي أو الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الإيمان
ولقوله تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية والمعتزلة لما قالوا الإيمان عبارة عن مجموع التصديق والإقرار و
والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد
منهما في بعض الأحكام وتخصيص الإضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على أنه الذي أعدهم للإضلال وأدى بهم
إلى الضلال به وذلك لأن كفرهم وعدولهم عن الحق وإصرارهم بالباطل صرفت وجوه أفكارهم عن حكمة المثل إلى
حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فأنكروه واستهزؤوا به وقرئ يضل على البناء
للمفعول والفاسقون بالرفع الذين ينقضون عهد الله صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ
التركيب وأصله في طاقات الحبل واستعماله في إبطال العهد من حيث أن العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط
أحد المتعاهدين بالآخر فإن أطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وإن ذكر مع العهد كان رمزا إلى ما هو من
روادفه وهو أن العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاقدين كقولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه
الناس فإن فيه تنبيها على أنه أسد في شجاعته بحر بالنظر إلى إفادته والعهد الموثق ووضعه لما من شأنه
أن يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث إنها تراعى بالرجوع إليها والتاريخ لأنه يحفظ وهذا
العهد إما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق
رسوله عليه السلام وعليه أول قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم أو المأخوذ بالرسل على الأمم بأنهم إذا بعث
إليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا أمره ولم يخالفوا حكمه وإليه أشار بقوله وإذ

أخذ الله

عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن أريد إضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له وإبانة أن ذلك ليس إضلالا ابتدائيا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه أبو السعود

وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلثة عهد أخذه الله تعالى على جميع
ذرية آدم بأن يقروا بربوبيته وعهد أخذه على النبيين بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد أخذه
على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما تقع به الوثاقة وهي
الإحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب أو ما وثقوه له من الالتزام والقبول ويحتمل
أن يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فإن ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل
يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والإعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الأنبياء
عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير أو تعاطي شر فإنه يقطع
الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والأمر هو القول الطالب للفعل وقيل
مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور تسمية للمفعول به بالمصدر فإنه مما يؤمر به
كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه إذا قصدت قصده وأن يوصل يحتمل النصب والخفض
على أنه بدل من ما أو ضميره والثاني أحسن لفظا ومعنى ويفسدون في الأرض بالمنع عن الإيمان والاستهزاء
بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه أولئك هم الخاسرون الذين خسروا بإهمال العقل
عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الأبدية واستبدال الإنكار والطعن في الآيات بالإيمان بها والنظر في
حقائقها والاقتباس من أنوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون
بالله استخبار فيه إنكار وتعجيب لكفرهم بإنكار الحال التي يقع عليها على طريق البرهان لأن صدوره لا ينفك عن حال
وصفة فإذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك إنكار وجوده فهو أبلغ وأقوى في إنكار الكفر
من أتكفرون وأوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال
خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى أخبروني على أي
حال تكفرون وكنتم أمواتا أي أجساما لا حيوة لها عناصر وأغذية وأخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير
مخلقة فأحياكم بخلق الأرواح ونفخها فيكم وإنما عطفه بالفاء لأنه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف
البواقي ثم يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور أو للسؤال في القبور ثم إليه
ترجعون بعد الحشر فيجازيكم بأعمالكم أو تنشرون إليه من قبوركم للحساب فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم
هذه فإن قيل إن علموا أنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم لم يعلموا أنه يحييهم ثم إليه يرجعون قلت تمكنهم
من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في إزاحة العذر سيما وفي الآية تنبيه على ما يدل
على صحتها وهو أنه تعالى لما قدر على إحيائهم أولا قدر على أن يحييهم ثانيا فإن بدء الخلق ليس بأهون عليه من إعادته
أو مع القبيلين فإنه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الإيمان وأوعدهم على الكفر أكد
ذلك بأن عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك

Copyright King Saud University